

أيها المسلمون: كمالُ الحرصِ على اتِّقاءِ الفتنَةِ، والحذرِ من سُلوكِ سبيلِها والتعرُّضِ لأسبابِ الوقوعِ فيها ديدنُ أولي الألبابِ، وطريقُ من خشيَ الرحمنَ بالغيبِ، ونهَجُ ذوي البصيرةِ من عبادِ الله، يحدوهم إلى ذلك قوةُ يقينٍ، وكمالُ تصديقٍ بما جاء عن الله ورسوله - صلوات الله وسلامه عليه - من البيِّناتِ المُحدِّرةِ من غوائلِها، الدالَّةُ على سبيلِ السلامةِ من شُرورها، المُرشِّدةُ إلى الطريقِ الواجبِ انتهاجِه وقتَ وقوعِها.

وفي الطليعةِ من ذلك: قولُ ربِّنا - سبحانه - في التحذيرِ منها، وبيانِ عمومِ الضَّررِ بها: **"وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"** [الأنفال: 25]، وقولُ نبينا - صلواتُ الله وسلامه عليه: **"ستكونُ فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن تشرفَ لها، أي: تهلَّكُه، بأن يُشرفَ منها على الهلاك".** وحاصلُه: أن من تعرَّضَ لها بشخصِه تعرَّضتْ له بشرِّها. ثم قال صلى الله عليه وسلم: **"ومن وجدَ ملجأً أو معاداً فليعدُّ به"** - أي: فليلجأَ إليه؛ أخرجهُ الشيخان في "صحيحهما".

وقولُه - عليه الصلاة والسلام -: **"بادرُوا بالأعمالِ فتنًا كقطعِ الليلِ المظلمِ، يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمناً ويصبحُ كافرًا، يبيعُ دينه بعرضٍ من الدنيا"**؛ أخرجهُ مسلم في "صحيحه" من حديثِ أبي هريرة - رضي الله عنه -.

ولا ريبَ أن معرفةَ حقيقةِ الفتنَةِ أصلُ درءِ خطرِها، وصونِ النفسِ عن الاضطِلاءِ بناورها. والفتنةُ - كما قال ابن القيم - رحمه الله - نوعان: **"فتنةُ الشُّهاتِ - وهي أعظمُ الفتنَتَيْنِ -، وفتنةُ الشُّهواتِ.** وقد يجتمعانِ للعبدِ، وقد ينفردُ بإحداهما. **فتنةُ الشُّهاتِ ناشئةٌ من ضعفِ البصيرةِ، وقلةِ العلمِ، لا سيَّما إذا اقترنَ بذلك: فسادُ القصدِ، وحُصولُ الهوى، فهناك الفتنَةُ العُظمى، والمُصيبةُ الكُبرى"**.

فقل ما شئتَ في ضلالِ سبيلِ القصدِ الذي حكَمَ عليه الهوى لا الهدى، مع ضعفِ بصيرتِه، وقلةِ علمِه بما بعثَ اللهُ به رسوله صلى الله عليه وسلم: فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: **"إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ"** [النجم: 23].

وقد أخبرَ اللهُ - سبحانه - أن اتِّباعَ الهوى يُضِلُّ عن سبيلِه فقال: **"يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ"** [ص: 26].

وهذه الفتنَةُ - يا عبادِ الله - مألها إلى الكفرِ والنِّفاقِ، وهي فتنَةُ المنافقينِ وفتنةُ أهلِ البِدَعِ على حسب مراتبِ بدعِهم، ولا يُنجي من هذه الفتنَةِ إلا تجرُّدُ اتِّباعِ الرُّسولِ - صلى الله عليه وسلم - وتحكيمُه في دقِّ الدينِ وجِلِّه، ظاهره وباطنِه، عقائده وأعمالِه، حقائقه وشرائعِه.

فيتلقَى عنه - عليه الصلاة والسلام - حقائقُ الإيمانِ وشرائعُ الإسلامِ، وما يُثبِتُه اللهُ من الصفاتِ والأفعالِ والأسماءِ، وما ينفيه عنه، كما يُتلقَى عنه وجوبُ الصلواتِ وأوقاتها وأعدادُها، ومقاديرُ الزكاةِ ومُستحقِّيها، ووجوبُ الوضوءِ، وصومُ رمضان، وحجُّ البيتِ لمن استطاعَ إليه سبيلاً، وغيرُ ذلك من شرائعِ الإسلامِ.

فلا يجعله رسولاً في شيءٍ دون شيءٍ من أمور الدين؛ بل هو رسولٌ في كل شيءٍ تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يتلقى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه - عليه الصلاة والسلام -.

وأما النوع الثاني من الفتنة: فهي فتنة الشهوات. وقد جمع - سبحانه - بين ذكر الفتنين في قوله - عزَّ اسمُه -: **"كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ"** [التوبة: 69]؛ أي: تمتعوا بنصيبيهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدَّر، ثم قال: **"وَحُضِّنْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا"**، فهذا الخوض بالباطل وهو الشهوات.

فأشار - سبحانه - في هذه الآية إلى ما يكون به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق والخوض في الباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، وتقديم الرأي على الشرع أصل فتنة الشبهة، وتقديم الهوى على العقل أصل فتنة الشهوة. وفتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر.

ولذلك جعل - سبحانه - إمامة الدين منوطةً بهذين الأمرين: فقال - عز وجل -: **"وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً مَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"** [السجدة: 24]، وهو دليل على أنه بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، ودليل أيضاً على أن فتنة الشهوة تدفع بكمال العقل والصبر، وأن فتنة الشبهة تدفع بكمال البصيرة واليقين؛ أي: بما جاء عن الله من البيِّنات والهُدى.

فاتقوا الله - عباد الله -، وحذروا ثم حذار من فتن الشبهات وفتن الشهوات.

اللهم إنا نسألك الثبات على دينك، والاستقامة على شرعك، ونسألك أن تقينا من مضلات الفتن، إنك سميعٌ مجيبٌ الدعاء.

نفعي الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنة نبيِّه - صلى الله عليه وسلم -، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ، إنه كان غفَّارًا.

الخطبة الثانية

إن المخالفة عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو سبيلُه، ومهاجُه، وطريقته، وسنته، وشريعته - هو من أعظم أسباب الفتنة في الدين، كما قال - سبحانه -: **"فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"** [النور: 63].

والمُرَاد: فليحذروا وليخش من خالف شريعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - باطنًا وظاهرًا أن تُصيبهم فتنةٌ - أي: في قلوبهم - من كُفرٍ، أو نفاقٍ، أو بدعةٍ، أو يُصيبهم عذابٌ أليمٌ؛ أي: في الدنيا بقتلٍ، أو حدٍّ، أو حبسٍ. كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في "صحيحهما" عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **"مثلي ومثلكم كمثلي ومثلكم كمثلكم رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدوابُّ يقعن في النار، وجعل يحجزهن ويغليهنه فيقتحن فيها"**.

قال: **"فذلك مثلي ومثلكم، أنا أخذٌ بحجزكم هلم عن النار فتغلبونني وتقتحمون فيها"**.

فاتقوا الله - عباد الله - ، وحذار من المخالفة عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فإن عاقبة ذلك الإصابة بالفتنة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

واذكروا على الدوام أن الله تعالى قد أمركم بالصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورحمة الله للعالمين، فقال - سبحانه - في الكتاب المبين: **"إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"** [الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر الآلِ والصحابةِ والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعتنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

الأحاديث

(6670) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَتَكُونُ فِتْنُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشَتَّرَفَهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُدْ بِهِ" (صحيح البخاري- الفتن 6670) (صحيح مسلم- الفتن وأشرط الساعة 2886)

(118) حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي بُرَيْدٍ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا أَوْ يُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا" (صحيح مسلم- الإيمان 118) (سنن الترمذي- الفتن 2195)

(2284) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا مَنِّي وَمَنْ مَنِّي كَمَنْ مَنِّي كَمَنْ مَنِّي نَارًا فَجَعَلْتُ الدَّوَابَّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا فَأَنَا أَحَدٌ بِحُجْرَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَفْحَمُونَ فِيهِ" وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ (صحيح مسلم- الفضائل 2284)

(6118) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ هَدَّةَ أَنَّ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّمَا مَنِّي وَمَنْ مَنِّي كَمَنْ مَنِّي نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَرْعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَفْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا أَحَدٌ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا" (صحيح البخاري- الرقاق 6118)